

الفرج بعد الشدة

عباد الله: الحياة الدنيا مليئةً بالمحن والمتاعب والبلايا والشدائد والنكبات. أن صفت يوماً، كدرت أيام. وإن ضحكت ساعة، أبكت أيام. لا تدوم على حالٍ (وتلك الأيام نداولها بين الناس). وإذا تأملنا في أحوالنا نحن وأحوال الناس الآخرين نجدها متقلبة بين فقر و غنى، بين عافية وبلاء، بين صحةٍ ومرض و بين عز وذل. فهذا مصابٌ بالأمراض والأوجاع، وهذا مصابٌ بقلق وحالة نفسية، وذلك مصابٌ بعقوق الأبناء، وآخرٌ بسوء خُلق زوجته وسوء عشرتها، وتلك مصابةٌ بسوء خُلق زوجها وسوء معاشرته، وآخرٌ يشتكى كساد تجارته، والآخرٌ يشتكى قلة العمل وهكذا إلى نهاية سلسلة الآلام التي لا تقف عند حد ولا يحصيها عد.

عباد الله: لا يُزيلُ هذه الآلام ويكشفُ الكروب إلا الله علام الغيوب الذي يُجيبُ المضطر إذا دعاه. إذا حلت بك مصيبة فلا بدَّ لك من الصبر والإنابة إلى الله. لا بدَّ لك من اتخاذ الأسباب الموصلة إلى كشف المكروه. فالمسلم لا يستسلم ولا يضعف أمام النكبات والمصائب والابتلاءات. فإن الله جلَّ وعلا جعل الابتلاء سنةً ليمحص إيمان المؤمنين الأتقياء ويميز بين الصادقين والكاذبين الأدعياء. يقول سبحانه وتعالى (الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين). وقدوتنا في الثبات عند المحن والابتلاءات صفوة الخلق وهم الأنبياء عليهم السلام. فرمى إبراهيم عليه السلام في النار، ووُضعت السكين على رقبة إسماعيل عليه السلام للذبح، وبيع يوسف عليه السلام، وذهبت من شدة البكاء عينا يعقوب، ودُبح الحصور يحيى، وعاني من الأوجاع وطول المرض أيوب، وأدميت قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين. ولو تأملنا في سيرة النبي ﷺ وصحبه لرأينا ما حل به ﷺ وبأصحابه الكرام من ابتلاءات تقشعر لها الأبدان. فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا وما أصابهم الخوف على أرواحهم ولا على أرزاقهم. بل قابلوا تلك المصائب والشدائد بالصبر والثبات. قال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم). وجاء في الحديث الذي رواه الأمام البخاري رحمه الله عن أبي عبد الله خباب بن الأزرق عليه السلام قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ برداً له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا: ألا تستغفر لنا، ألا تدعوا لنا. فقال: قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون.

فإذا ابتليت يا أخي الحبيب بأي بلاء فاحمد الله ربَّ الأرض والسماء، فإن هذا طريق الأنبياء والصالحين والأتقياء. جاء في الحديث الصحيح: (أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل).

واعلم يا أخي الحبيب أن الله جل وعلا وعدَّ عباده بالسعة بعد الضيق وبالعافية بعد البلاء وبالرخاء بعد الشدة وباليسر بعد العسر. (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا). ويقول عبد الله بن مسعود عليه السلام (لو دخل العسرُ في حُجْرٍ لجاء اليسرُ حتى يدخل عليه لأن الله يقول { إن مع العسر يسرا }). ويقول ﷺ (إن الفرجَ مع الكرب، وإن مع العسر يسرا) رواه أحمد.

نعم أيها الأحبة إن الشدائد والبلايا مهما تعاضمت وامتدت فإنها لا تدوم على صاحبها بل إنها عندما تشتد وتظلم وتطول فإن هذا دليلٌ على قرب زوالها وانفراجها. فيأتي العون من الله وهكذا نهاية كل ليلٍ مظلم فجرٌ مضئٌ صادق.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرجُ
صبراً جميلاً ما أقربَ الفرجا من راقبَ الله في الأمر نجا
من صدقَ الله لم ينله أذى ومن رجاه يكون حيث رجا

فيا أخي لا تجزع لما أصابك ولا تحزن فإن ذلك لا يردُّ فائتاً ولا يدفعُ واقعاً. فأترك الحزن والهم وكن مستعيناً بالله متوكلاً عليه. وخذ من الأسباب ما يُفرجُ كربك ويذهبُ همك. وأهم أسباب تفريج الكروب وتخفيف البلايا:

1- تقوى الله جل وعلا.

2- الإنابة إلى الله.

3- التوكل عليه سبحانه.

4- التعرف على الله في الرخاء.

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسبُ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً) الطلاق 2-3.

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه (إن من شأنه سبحانه أن يغفر ذنباً ويكشف كرباً ويرفع أقواماً ويضع آخرين). ويقول الضحاك بن قيس رضي الله عنه (اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فإن يونس كان يذكر الله تعالى في الرخاء فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى {قلولا أن كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يُبعثون}).

ومن أسباب تفريج الكروب وإزالة الهموم والغموم وتخفيف البلايا، كثرة الاستغفار. فأكثر يا أخي المهوم من الاستغفار. يقول تعالى (فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) هود 61. وجاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن المعصوم عليه السلام أنه قال: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب). وأكثر يا أخي من الأدعية التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن فيها ذهاب الهموم والغموم ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم، لا إله إلا الله الحليم الكريم). وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (دعوة ذو النون عليه السلام في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها مسلمٌ ربه في شيء قط إلا استجاب له). روى سعيد بن عنبسة قال: بينما رجلٌ جالس وهو يعبت بالحصى ويحذف بها، إذ رجعت حصاةٌ منها فصارت في أذنه. فجهد بكل حيلة فلم يقدر على إخراجها. فبقيت الحصاة في أذنه تؤلمه. فبينما هو ذات يوم جالسٌ إذ سمع قارئاً يقرأ (أمنٌ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) النحل 62. فقال: يا رب أنت المجيب وأنا المضطر فالكشف ضرٌّ ما أنا فيه. فنزلت الحصاة من أذنه.

فراقب الله يا أخي المبتلى! وأكثر من الضراعة والالتجاء وقل: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. كن قوي الأيمان، قوي الثقة بالله. أحسن الظنِّ بمولاك! يكشف عنك ما نزل بك من الضر، ويبدل شدتك رخاءً ويجعل لك

من همك فرجاً ومخرجاً ومن عسرك يسراً (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) الطلاق 2-3.

أعلم يا أخي المهموم علم اليقين أن الذي يكشف البلوى هو الله. فأعتمد به وأعتمد عليه، وارفع يديك والتجئ إليه، وأكثر من قولك {إنا لله وإنا إليه راجعون}. يقول تعالى: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون). ويقول رسولنا الكريم ﷺ (ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبتيه وأخلف له خيراً).

وأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. وهناك بشرى لكل من ابتلي بمرض أو هم أو غم أو كرب أو أيّ بلاء إن هو صبر وصابر بأنه سيلقى الله وما عليه من خطيئة لقوله ﷺ (ما يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة).

فأبشر أيها المبتلى فإن الله يحبك ويريد لك درجة عالية في الجنة لم تبلغها بأعمال صالحة ولكن بصبرك على هذا الابتلاء. واحتسب الأجر عند فاطر الأرض والسماء. فأصبر واحتسب فإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون).

اللهم اجعل لنا وللمسلمين من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً.

اللهم فرج هم المهمومين، واقض الدين عن المدينين، واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا وللمسلمين.

اللهم أصلح أولادنا وأزواجنا وبناتنا، واغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا وعيوب المسلمين.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.